مجلة المنهل ـ المجلد: 08، العدد: 01 (2022 م) ـ ص ص 541 – 560
ISSN : 2437 – 1068 • EISSN 8392-2710

مبحث الإنسان في علم الكلام الجديد وحوار المذاهب والأديان

The Subject Of Man In The New Theology and The Dialogue Of Sects and Religion

د. أسمهان بوعيشة (*)
جامعة باتنة 1 (الجزائر)
Asma.boutalbi@yahoo.com

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2021/08/21	2022/05/08	2022/06/13

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

أدت التطورات الفلسفية والاجتماعية الحديثة إلى الإعلاء من قيمة الإنسان في الكون وحقوقه ،وحريته وعلاقته ببعضه البعض .ومن هنا تبرز أسباب اختيار الموضوع كونه يعالج مدى حاجة الإنسان إلى الخوض في علاقته بالآخر عبر الإعلاء من القيم الإنسانية المشتركة ، وإظهار أن من مهام الدين في حياة الإنسان تكريمه، وليس توظيف الدين لإثارة النعرات الطائفية والمذهبية والدينية ، وإذ ذاك كان علم الكلام الجديد في مُسحته الإنسانية الأكثر قدرة على إبراز المشترك الإنساني ووضع لبِنات للحوار المذهبي والديني .وتهدف هذه الورقة البحثية إلى التطرق إلى موضوع الإنسان وتغليب نزعته الإنسانية في علاقته بالدين بعد أن غيَّبته الجدليات الكلامية الكلاسيكية ،والاهتمام بمتطلباته اليومية والعملية وتحقيق مصالحه وبُعده الإنساني في علاقاته مع المختلف مذهبيا ودينيا .ومن أهم نتائج هذا البحث أن من مهام علم الكلام الجديد في مستواه الإنساني التدليل على كونية وإنسانية الخطاب الكلامي الإسلامي عبر ترسيخ ثقافة التعايش والتسامح مع الأخر وقبول مبدأ الحوار بين المذاهب والأديان .

الكلمات المفتاحية:

الإنسان؛ علم الكلام الجديد؛ الحوار المذهبي؛ الحوار الديني.

Abstract :

Modern philosophical and social developments have elevated the value of man in the universe, his rights, his freedom and his relations with others. Therefore, the reasons for the choice of the theme emerge, because it addresses the extent to which man needs to deepen his relationship with the other by raising common human values, and by showing that one of the tasks of religion in a person's life is to honor him, and not to use religion to stir up sectarian and religious conflicts, The new theology appears with it's humanist tinge, capable of highlighting the human commonality and of laying the foundations for sect and religious dialogue .The aim of this research thesis is the question of human restoration and to give priority to it's human tendency in its his relation to with religion, after it has been absented in the classical dialectic. One of the most important results of this research is that one of the

(*) المؤلف المراسل.

tasks of the new theology at it's human level, is to show the universality and humanity of the Islamic theology through the solidification of a culture of coexistence and tolerance with others and to accept the concept of dialogue between sects and religions.□

Keywords:
Human; New Theology; Religious Dialogue ; Dialogue Between Sect.

1ـ مقدمة:

قدم علم الكلام القديم خدمات جليلة في الدفاع والذَود عن العقيدة الإسلامية من مطاعن خصومها بالرد على شبهات الملل والفلسفات ؛لكن انصراف هذا العلم إلى الجدل والمناظرة أبعده رويدا رويدا عن الجانب العملي للحياة الإنسانية ؛كما زرع الفُرقة في الصف الإسلامي لانشغاله بالردود المذهبية دون أن نتناسى أن عوامل أخرى غير علم الكلام أودت إلى تشتت المسلمين ؛وأخيرا دخوله في نفق الجمود كسائر العلوم الإسلامية وانكفائه على ذاته واكتفائه بالشروح والحواشي ؛إلا أنه ومع هيمنة المدنية الغربية وبروز تحديات أخرى تعالت أصوات بعض المفكرين المسلمين للدعوة لتجديد علم الكلام، وقد أفضت هذه الدعوة إلى بروز مواقف متعدد من هذا الطرح منها ما يرنو إلى الاحتفاظ بالكلام القديم مع إضافة بعض المسائل الجديدة إليه ، أو من يرفض بعث هذا العلم ويُلحقه بفلسفة الدين ،أو من يرى أن علم الكلام الجديد ينبغي أن يركز على منافع الدين وضروراته الدنيوية قبل الأخروية ؛ مما يعني تمحوره حول الإنسان والطبيعة الإنسانية وحقوق الإنسان والتعددية الدينية والتسامح الديني وغيرها من المواضيع التي باتت تطبع انشغالات الإنسان المعاصر ؛ويصب هذا المقال في هذا الإطار ؛ من حيث تركيزه على إقامة بُنى العلاقات الإنسانية عبر التحاور بين المذاهب الإسلامية والأديان المختلفة .

وقد شهد خطاب التقريب بين المذاهب جدليات عدة بسبب المعيقات التاريخية لعلم الكلام القديم ،وذلك بعد استغراق مقولاته في الجدل والنقد المذهبي ، إلا أن تغيرات سياسية وصدمات ثقافية عدة أظهرت الحاجة المُلحة للتقريب بين المذاهب والفرق الإسلامية ،فبات ضرورة وحتمية تحقيق هذا المشروع الحضاري رغم التباين في المواقف وصعوبة الأمر وتحدياته ،وأنه لا مفر من تعميم ثقافة التقارب بين المذاهب وتعزيز مفهوم الأخوة والدين والأمة الواحدة ،والوقوف ضد خطابات التعصب والصراع المذهبي الإقصائي .

وعلى نطاق أخر أبانت ملتقيات الحوار بين الأديان خاصة المسيحية الإسلامية منه عن ضعف ووهن مقولات علم الكلام القديم ،ففي الوقت الذي تطور علم اللاهوت المسيحي بتأثير كبير من الحركة الإصلاحية البروتستانتية ،أفضت إلى تطور وتجدد وتنوع وانفتاح مواضيع اللاهوت المسيحي مُعلنة عن نشأة لاهوت متعدد المشارب والاهتمامات ،فظهر على سبيل المثال لاهوت الأديان الذي يعترف بالأخر

غير المسيحي ،وينشد معه حوارا لتقريب الرؤى بهدف نشر رسالة المسيح للسلام التي أراد دُعاة هذا الاتجاه تعزيزها انطلاقا من فقرات إنجيلية عدة تؤسس لمبدأ الحوار وقبول الآخر ؛منها ما جاء في أعمال 35/10 " بَلْ إِنَّهُ-الله- يَقْبَلُ كُلَّ مَنْ يَتَّقِيهِ وَيَفْعَلُ الصَّوَابَ مِنْ أيِّ شَعْبٍ كَانَ"، في حين أدرك المسلم من خلال مجامع الحوار بين الأديان أن مدونته الكلامية القديمة حول الملل والنحل تصب معظمها في باب الجدليات الكلامية النقدية للأديان ،رغم أن القرآن الكريم يؤصل لمبدأ الحوار والتعاطي مع مختلف الشعوب والأديان في مواضع عدة منها قوله تعالى : ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إ لَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آَمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(العنكبوت :46) ، مما نبه إلى ضرورة استحداث مناهج كلامية حديثة تُواكب تطورات ومعارف وعلوم العصر على غرار ما شهده واستفاد منه اللاهوت المسيحي.

أهمية الموضوع : بناء على ما سلف تتضح أهمية الموضوع وذلك بإعادة بناء علم كلام جديد يقوم على خدمة الإنسان المعاصر ،وترسيخ مفاهيم كونية تتماشى مع الطروحات الفكرية الحديثة ،وتتعاطى مع التطور الحضاري للإنسان في الوقت الراهن ،عبر تبني مفاهيم عميقة ومحاور حديثة كمسألة حقوق الإنسان والتسامح والتعددية الدينية والمذهبية وقبول الاختلاف وتغليب سُبل البحث عن الحقيقة والأخذ بها بعيدا عن الصراع المذهبي والديني .

شرح المصطلحات : ويستدعي هذا الموضوع شرح بعض مصطلحاته لتيسير فهمه وتدليل عقباته ،ومن هذه المصطلحات علم الكلام الجديد والذي لا يزال النقاش بين مفكري وفلاسفة الإسلام يدور حول تسميته ومواضيعه ومناهجه وأهدافه ،وقد ظهر هذا المصطلح على الساحة الإسلامية في القرن التاسع عشر ،ويهدف إلى جانب محاور علم الكلام القديم ونعني بها الدفاع عن العقائد الإسلامية كالله وصفاته والنبوة والمعاد وغيرها ، إلى معالجة مواضيع حديثة وهذا بفِعل تطورات المعرفة الإنسانية والتحديات الفكرية والثقافية الغربية مثل مسائل حقوق الإنسان ،الحقوق العامة للشعب ،حقوق المرأة، الحوار بين الأديان ونحوها .

أما ما نروم له من مبحث الإنسان فإننا نصبو إلى خوض موضوع الإنسان ومباحثه وانشغالاته وحاجاته الحديثة باعتباره محور الوجود والكون ،بعد أن هيمنت مباحث الألوهية على معظم المباحث الكلامية القديمة .

أما مفهوم الحوار بين المذاهب والأديان فإننا نعني به حوار إيجابي بين الأفراد والمؤسسات من مختلف المذاهب والأديان ،مع مراعاة الاختلافات العقدية والمذهبية ،وغاية هذا الحوار تحقيق السلام بين أفراد المجتمع الإنساني بعد أن أنهكته الصراعات الطائفية والمذهبية والدينية .

الإشكالية :

يفرض هذا الموضوع الإشكالية التالية :

كيف تعاطى الكلام الجديد مع موضوع الإنسان في علاقة المسلم بالآخر المذهبي والديني؟

إلى جانب ذلك نستعين ببعض التساؤلات فرعية وهي :

لماذا يرى بعض مُهندسي الكلام الجديد ضرورة تغليب قضايا الإنسان على مسائله؟ كيف كانت طبيعة الصراع والجدل الديني والمذهبي في علم الكلام القديم ؟ وما علاقة الإسلام بالآخر ؟ وكيف ظهرت مبادرات التقارب المذهبي والحوار الديني مع غير المسلم؟

أهداف الموضوع :

وتهدف هذه الورقة البحثية إلى التطرق لموضوع الإنسان وتغليب نزعته الإنسانية في علاقته بالدين بعد أن غيَّبته الجدليات الكلامية القديمة ،وتِبيان أن من مهام الدين تحقيق السلام الإنساني وليس إراقة الدماء باسم الدين والإله ،إلى جانب الاهتمام بمتطلباته اليومية والعملية وتحقيق مصالحه وبُعده الإنساني في علاقاته مع المختلف مذهبيا ودينيا.

وقد قسمت هذا المقال وفق الخطة التالية :

- مقدمة.
- الفرع الأول : تعاطي علم الكلام الجديد مع موضوع الإنسان.
- الفرع الثاني: الصراع الديني والمذهبي وعلاقة الإسلام بالآخر.
- الفرع الثالث: الآخر المسلم والتقارب المذهبي.
- الفرع الرابع: الآخر غير المسلم ومسألة الحوار الديني.
- الخاتمة.

2ـ الفرع الأول : تعاطي علم الكلام الجديد مع موضوع الإنسان

يعيش الإنسان الغربي في العصر الحديث بالعلم بعدما عاش طويلا بالدين ، ويُناط مصير الحياة البشرية بالعلاقة بين العلم والدين . فالحياة الإنسانية في العالم الغربي عموما تتخذ على أساس فرضية التعارض بين العلم والدين ،ومن الأبعاد المهمة للتعارض الظاهري بين الدين والعلم الحديث في العالم الغربي ومنشأه ، الصورتان المختلفتان للموجود البشري في كل من العلوم التجريبية والنصوص الدينية

.ففي الفكر الديني يكتسب الإنسان كرامة عالية ومقاما رفيعا في عالم الخلقة ، فهو محور الخلق والمخلوقات وغاية الموجودات الأخرى ،حيث يتمتع بالعقل والحب والعلم وبالأسماء الإلهية ، وليست المخلوقات الأخرى سوى خدم له. أما صورة الإنسان في العلوم الحديثة فلا تشبه تلك التي في الأديان من بعيد ولا من قريب ، خاصة بعد ظهور نظرية التطور ، واكتشاف عدم مركزية الأرض في الكون ، وغلبة البحوث الفرويدية على مجال علم النفس. لكن تبين فيما بعد حاجة الإنسان إلى الدين وهذا بعد أن اجتاز الإنسان عبادة العلوم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ليُكتشف بعد ذلك عجز العلم عن تحقيق السعادة للإنسان. وجاءت الفلسفات الوجودية[1] –الدينية– لتكرس بدورها حقيقة حاجة الإنسان المعاصر إلى الدين(قراملكي أحمد ، 2002 ، ص 200، 207–212).

وفي العصر الراهن وبعد هيمنة التيارات الإنسانوية ،كان لا بد للدرس الديني من أن يتأثر بهذا الجو السائد ،و يتحول محور البحث في الدراسات الدينية من الله إلى الإنسان كما ذهب له مصطفى ملكيان ،وعلى ضوء ذلك بدأت في السنوات الأخيرة استخدام عبارات مثل "توقعات الإنسان من الدين " بدل عبارة "حاجة الإنسان إلى الدين " (يوسيفيان حسن ،2016، ص 230 ،310).

وإذا كانت غاية الدين تحقيق مصالح العباد وسعادتهم ،فيجب أن تكون غاية التأصيل الكلامي استنباط المقاصد الإنسانية الأساسية والمتغيرة حسب ما يقتضيه تطور الحياة الانسانية .فالتحدي الأكبر في تجديد الفكر الإسلامي عامة والفكر الكلامي على وجه الخصوص باعتباره يمثل التصور النظري الكلي أو الإطار المعرفي والأخلاقي والأساسي لأي محاولة تجديدية ،هو مخاطبة الإنساني أي المشترك الإنساني والكوني فينا . مما يقتضي استحضار الإنسان وقيمه العليا في العمل التأويلي الكلامي .وهو ما لم يُدرك بشكل جلي في التراث الكلامي القديم ،والذي رغم انفتاحه على المناهج الفلسفية والمنطقية والدينية المغايرة ، إلا أنه ظل رهين مناظرات المذاهب والفرق الداخلية ، ولم يُفرز بذلك سوى خطابا للمؤمنين به .وعلى الرغم من أنه كان بالإمكان استنباط معاني كونية وأكثر انفتاحا من الإنتاج الكلامي ، كالعقل والنفع والصلاح والعدل ، إلا أنها وُضّفت ضمن الجدل الداخلي السياسي والكلامي ، ولم تُؤسس لفلسفات مستقلة ومنفتحة على المغايرة ، متصلة بالمعرفة أو السياسة المدنية .ثم إن في مناظرة الفلاسفة والمناطقة وأهل الأديان الأخرى ،وإن كانت تنم عن رغبة في مخاطبة المخالف في العقيدة بخطاب المشترك الإنساني ، إلا أنها كانت ردود من أجل المحاججة العقلية، إذ لا شيء يُبرهن في مستوى

[1]– وهو تيار لا عقلاني في الفلسفة الحديثة. وللوجودية مصادرها في فلسفة كيركغارد من خلال التعاليم الدينية الصوفية ،وهناك شكلان من الوجودية :الوجودية الدينية عند مارسيل وياسبرز ومارتن بوبر وغيرهم ،ووجودية إلحادية عند سارتر وهيدغر وكامو (روزنتال ويودين ،د.ت ،ص 579).

الخطاب الكلامي أن المعنيين به هم عموم الإنسان. فالحجاج العقلي إنما استخدم للبرهنة على مقالة كل فرقة وللردود الدفاعية ضد المخالف ،ولذلك ينبغي تأسيس كلام جديد يركز على المقاصد الإنسانية الكونية، وذلك عبر إدراك مشكلات الإنسان اليوم وتطور معارفه وتجاربه التاريخية والفلسفية والحضارية، ضمن الايمان بالكرامة الإنسانية وبحرمات الإنسان المعنوية والمادية ،والإيمان بالتعددية الدينية وبالحرية (المستيري محمد ، 2019 ، ص ص38-41).

كما استغرق علم الكلام القديم في البحث عن الله وصفاته وكل ما يتصل به في سياق مستقل عن الإنسان ،بل لا يكف التراث الكلامي عن تجاهل قيمة الإنسان ونسيان ذاتيته وكينونته الخاصة ، كما لم يدرج المتكلمون في مؤلفاتهم مبحثا خاصا بالإنسان ،يتناول تأصيل موقف نظري يحدد موقع الإنسان في سلم المخلوقات ،أي منزلة الإنسان من حيث قيمته بالنسبة إلى غيره ، وحقوقه وحرياته ،وأنماط حياته ،وثقافته وعيشه ،وعلاقته بما يتشكل لديه من رؤية للعالم ،وما يرتبط بذلك من مسائل .فصورة الإنسان في علم الكلام القديم عند بعض المذاهب الإسلامية هي عبد مسترق خانع ذليل، لله أن يفعل به ما يشاء، وانطلاقا من مفهومي القبح والحسن ،فله أن يُعذب العادل ويُثيب الظالم(الرفاعي عبد الجبار ، 2016 ، ص ص29-31).

وترتب عن هذه النظرة ما يسميه عبد الجبار الرفاعي ب"لاهوت الاسترقاق"، وهو بطبيعته ينسج شباكاً معقدة لمختلف أنماط العبوديات التي تكبل حياة الشخص البشري، ويصادر حريات وحقوق الإنسان ، يُفضي ذلك إلى إلحاد مختبئ، وإن كان يبدو مُقنعا بتدين زائف. كما يُنتج هذا النمط علاقة مسكونة بالخوف والرعب والقلق بين الإنسان وربه، وهي علاقة لا تُسهم في تشييد حياة روحية أخلاقية أصيلة، ولعلاج ذلك يجب التحول إلى نمط علاقة تنبض بالتراحم والمحبة والوصال، وتقوم على الحرية والاختيار، دون إكراه أو امتهان(حامد فتحي ، 2021).

كما يرى الرفاعي أن علم الكلام القديم فقد بوصلة التوجه الإنساني لانشغاله بالأمور المجردة وإغراقه في الصوريات، مما يعني انخراطه في أزمات نظرية قد تكون ذات صلة بالإنسان ،لكن من زاوية ميتافيزيقية ،رغم أن هذه الحمولة قد تستحيل في إطار توظيفات معينة إلى فاعلة ،كما هو الشأن مع مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند المعتزلة ، إذ له اتصال بأوضاع الناس وشؤونهم الحياتية والاجتماعية ،ومما لا شك فيه أن هذا التوجه الكلامي القديم المستغرق في تفريعاته الجدلية النظرية ،يخالف النزعة القرآنية الميالة إلى الحياة البشرية العملية ،كون الدين جاء ليفيد الناس أجمعين(الحاج أوحمنة دواق ، 2014 ، ص ص 6-7).

وحري بنا أن نشير إلى أنه لم يُخلد علم الكلام التراثي ضمن الآثار الفكرية الإنسانية الكبرى للمسلمين ، وقد يعود هذا لصورته الجدلية الدينية والمذهبية ،أو في مناظراته مع الفلسفات والأديان المغايرة ،مما حجب الكثير من نزعته الإنسانية، لذلك بدا في وقتنا الحاضر أن علم الكلام الإنساني هو القادر على إبراز المشترك الإنساني ،أي يجب أن يخلق جسورا بين الإيماني والإنساني ضمن دائرة الإيمان وخارجها ،لأنه من الأيسر إيجاد مساحة من العمل المشترك بين جميع المختلفين . كما لعلم الكلام الإنساني الجديد الاستفادة من مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية ،لدراسة تطور الخطاب الإنساني وتطور الظاهرة الإنسانية، فهي مناهج ضرورية للإحاطة بالطبيعة المركبة لأنساق الخطاب الإنساني ،التي لم يعد من الممكن فهمها وتحليلها من منظور معرفي واحد ،حتى وإن تعلق بمسألة دينية. فلا يُنظر في المسائل الدينية خارج سياقها الثقافي والأنثروبولوجي والسوسيولوجي والتاريخي ، كما لا يمكن الإحاطة بأي ظاهرة اجتماعية حتى وإن كانت ذات طابع ديني دون فهم محددات نشأتها وتطورها وتأثرها وتأثيرها، وهو مجال علم الاجتماع بكل تفريعاته وتطبيقاته .كما لا بد لعلم الكلام الإنساني أن يواكب النظريات العلمية الحديثة المتعلقة بالفيزياء والبيولوجيا . وتظل مهمة الكلام الجديدة وضع الإطار المفاهيمي لتصور السعادة الإنسانية(المستيري محمد ، 2019، ص ص198-202).

كما لا يهتم علم الكلام الجديد بما يفعله الدين لحياة الإنسان بعد الموت بل يهتم بما يقدمه الدين لحياة الإنسان في هذا العالم ،وهذا لا يعني أن حياة ما بعد الموت لا تحظى باهتمامات الإنسان المعاصر ،لكنه يعني بالضبط أن على الدين أن يفي بوعوده الدنيوية قبل الأخروية ،بحيث يركز رجاله على منافع الدين وضروراته الدنيوية .مما يُشكل مفارقة كبرى بينه وبين الكلام القديم ،من حيث اهتمامه البالغ بالإنسان والطبيعة الإنسانية وحقوق الإنسان ، وبذلك يمكن القول إن الكلام الجديد في العقود القادمة سيكون بشكل واضح كلام حول الحقوق الإنسانية (الرفاعي عبد الجبار ، د ت ،ص ص 187، 194).

ومتابعة لهذا الاتجاه يرى أصحابه أن من وظائف علم الكلام في هذا المنحى يكون باعتماد أمور ثلاثة وهي :

*محاولة شرح وتبيين المفاهيم الاعتقادية بالصورة المناسبة القادرة على احتواء واستيعاب المضمون إلى أبعد الحدود .

*محاولة إثبات المفاهيم الاعتقادية وإقامة الأدلة والبراهين عليها ، من خلال توظيف مختلف أنواع الإثبات المنطقية والمعتبرة قياسا واستقراء وغيره على المستوى العقلي ،أو النصي ،أو التاريخي ،أو التجريبي أو غير ذلك .

*محاولة رد ودفع الإشكالات والشبهات الموجهة إلى المعتقدات الدينية أو المذهبية .(مجموعة من الباحثين ،2008، ص 15-16). وبذلك لا يقوم الكلام الجديد عند هؤلاء على الجدل بين أهل المذاهب والأديان بل بالعرض والبرهنة على صحة المعتقدات بالمناهج المعتبرة .

وقد لفت العالم الهندي شبلي النعماني (2012)إلى أن من أعمدة الكلام الجديد مسائل متعلقة بالجانب الأخلاقي والحضاري في الدين فيقول :" لقد كان علم الكلام القديم مُنصبا فقط على بحث العقائد الإسلامية ،لأن المخالفين للإسلام في ذلك العهد كانت اعتراضاتهم تتعلق بالعقائد ،ولكن في الوقت الحاضر يُبحث في الجوانب التاريخية والحضارية والأخلاقية للدين .إن عقائد أي دين عند الاوروبيين لا تكون جديرة بالاعتراض إلى هذا الحد ما لم تكن هذه المسائل قانونية وأخلاقية ،وفي رأيهم أن إباحة تعدد الزوجات والطلاق والرق والجهاد في أي دين لهو أكبر دليل على بُطلان هذا الدين، بناء على هذا سيتم بحث هذا النوع من المسائل في علم الكلام ، وهذا الجزء بالكامل عن علم الكلام الجديد ".(ص 181-182). ولذلك عمل على تباحث هذه المسائل باعتبارها من مستجدات علم الكلام الحديث وهي كما يظهر مباحث إنسانية لم تكن تستفز الكلام القديم ،حيث لم ترفض المنظومة الكلامية والاجتماعية الإسلامية يوما مسألة الجهاد وتعدد الزوجات والطلاق والرق ؛فلو أخذنا على سبيل المثال مسألة الرق فإن هذا المبحث أُفردت له مُصنفات فقهية تُنظم حال العبيد ووضعهم باعتباره أمرا طبيعيا يوافق النظام العام لذلك العصر ؛وإن كنا نُقر أن هذه المصنفات رهينة عصرها وظروفها ؛فإنه من غير المعقول أن نتبنى هذه المواقف في عصر وإن كان يضُج بالكثير من المظالم والانتهاكات ؛فإنه أيضا يؤسس لمدونة قانونية حقوقية وفلسفية رائدة تكفل حقوق الإنسان وحريته الدينية ،وتفتح أُفق الحوار والتفاعل مع جميع أطياف المجتمعات الإنسانية على اختلاف مشاربها وأعراقها وأديانها .وهذه المسائل التي انبرى النعماني للرد عليها وتوضيحها عدّها من محاور علم الكلام الجديد ،و هي كما نرى تمس بالدرجة الأولى مبحث الإنسان الذي يظهر أنه من أهم مواضيع هذا العلم في حُلته الجديدة ،وتأسيسا على ذلك كان موضوع الحوار المذهبي والديني من مُتعلقات موضوع التعددية الدينية ومسألة التسامح الديني الذي يُعتبر عند بعض المنظرين لهذا العلم من المباحث الأساسية فيه .

ورغم ما تميل إليه شريحة من الباحثين المُحدثين في أن الكلام القديم أهمل المباحث الإنسانية فإن فريق أخر يذهب خلاف ذلك ، إذ يرى أن من أولى المسائل التي أدت إلى ظهور علم الكلام مسألة الإمامة ومرتكب الكبيرة ولا شك أن هذه القضايا إنسانية ترتبط بفعل العبد لا بفعل الإله رغم ارتباطهما بالله ،مما يعني أن نشأة هذا العلم كانت تعالج قضايا إنسانية حيوية .كما أن الكلام القديم ناقش الكثير من القضايا كمبحث الكفر والإيمان والشر والخير والجبر والتفويض والتعدد الإيماني وقضية الدين الواحد

والإلحاد والنبوة والإمامة وغيرها ،فكلها تأتي من خلال علاقة الإنسان بالله تعالى ،وهي كما يظهر مواضيع إنسانية لها جانب إنساني وأخر إلهي ؛على أن علم الكلام أُسس للبحث في الإلهيات مما يعني عدم الإطناب في مجال الإنسانيات والقضايا الإنسانية(الخزاعي حكيم ، د ت ، ص 12، 15 ، 17. و النجار عبد المجيد ،ب ت ، ص 52-53).

إلى جانب ذلك فإن من مهام علم الكلام الجديد عند هذا الفريق إثبات قضية الوجود الإلهي ،وقضية خلق العالم ،وإثبات النبوة عموما ،وإمكان خلود النفس ،وإمكان البعث ،وثبوت الجزاء، كما أنه من الأساليب الصحيحة التي يمكن أن يستعملها علم الكلام الجديد الأسلوب الفلسفي والأسلوب العلمي التجريبي(النجار عبد المجيد ،1992، ص 62، 63).

وتعقيبا على ذلك فإنه من المعروف بأن محاور علم الكلام القديم تشمل القضايا الثلاث :الإلهيات ،الإنسان والكون ؛لكن طغت على محاوره مبحث الألوهية ،في حين يظهر أن الكلام الجديد رغم الاختلاف في تعريفه وتحديد مواضيعه والتنازع بين حاملي لوائه بين مؤيد لإحداث قطيعة مع الكلام القديم وحتى إلحاقه بفلسفة الدين ،أو إظهاره بثوب يوائم العصر وتطوراته بالإبقاء على مباحثه القديمة وإلحاق ما استُجد من مُكتسبات معرفية وفلسفية تخدم العلم بآليات جديدة ، أو ممن يرون أن علم الكلام ينبغي أن يُجدَّد على مستوى المناهج ،المسائل ، والأهداف ،وأن تُغلب فيه نزعته الإنسانية التي توارت وغابت بفِعل الجدليات المذهبية والصراعات الطائفية ؛فإن هذه الرؤى على تعددها وتضاربها تُدرك تماما أن مسألة الإنسانيات تحتاج إلى تباحث أكثر في ظل هذه الثورة المعرفية ؛كما أن الموضوع الأساسي لهذا المقال يتناول مسألة الحوار المذهبي والديني ، وهو ما لم أقف في أي مُدونة كلامية قديمة على أي إشارة من قريب أو بعيد لإمكانية فتح قنوات للحوار مع المختلف ،بل كلها تنحو إلى عدم الاعتراف بالآخر ؛ وتؤسس أدبا كلاميا مُتشعبا لمجادلة وإخراس المخالف في المذهب والدين ،كان له تداعياته- إلى جانب ظروف أخرى- في خلق جو يسوده الشحن الطائفي والكراهية الدينية.

وفي الأخير حري بنا التنويه إلى أن علم الكلام القديم قدم خدمات جليلة في نُصرة العقيدة الإسلامية أمام خصومها ورد الشبهات بما يخدم قضايا وحاجات ذلك العصر ،إلا أن السمة الجدلية غطت على الجانب العلمي الموضوعي الذي تأسس من أجله هذا العلم ،فكانت المذهبية بما تحمله من بوادر التململ والتحزب إلى جانب النهج الجدلي الذي امتطاه أداة لإبعاد هذا العلم عن مقصده وضرورياته الأولية .

ودون شك كان لعلم الكلام القديم دوره في بناء جدار من الكراهية والعداء بين الفرق الإسلامية والديانات الأخرى ،من خلال استغراقه المتكلف في بناء موروث جدلي ضخم يستعين فيه بالفلسفة والنصوص الدينية لتأسيس مدارس كلامية كبرى كانت غايتها القصوى إسكات الخصم وإفحامه عبر نسقها

الهندسي الجدلي وادعاء كل فرقة امتلاكها الحقيقة المطلقة وأنها الفرقة الناجية ،وهو ما كانت له آثاره فيما بعد من تجميد للعقل الإسلامي وانكفاءه على ذاته من خلال نصب سياجه المذهبي وإغفال أي تفاعل إنساني مع المختلف فكريا ومذهبيا وعقائديا ودينيا، واستغناءه شبه المطلق عن الخوض في موضوع الإنسان والمشترك الإنساني وحقوق الإنسان والحرية الدينية والحوار بين الأديان وقضية السلام العالمي وما إلى ذلك ،كون هذه المسائل لم تكن تُثير بال لاهوتيي ومتكلمي القرون الوسطى ، إلا أن هاته المواضيع أضحت من انشغالات علم الكلام الجديد والفلسفات الكونية عموما بفعل المتغيرات الثقافية والفلسفية التي فرضها العقل الغربي واللاهوت المسيحي الحديث .

3ـ الفرع الثاني: الصراع الديني والمذهبي وعلاقة الإسلام بالآخر

3، 1ـ الصراع الديني والمذهبي:

مما لا شك فيه أن علم الكلام وإن اختُلف فيه بين من يقول بأن علم الكلام الجديد لا يشترك مع علم الكلام القديم سوى في الاسم ،لأن هناك اختلافا جوهريا يفصل بينهما ، وهذا بسبب ما طرأ على العلوم من تبدلات وتطورات ،تتطلب أساليب جديدة في الحديث عن الله والنبوة والإنسان والمعاد والوحي ،أو من يقول بأن هناك تكامل بين الكلام القديم والجديد ،غير أن الكلام القديم غلُب عليه جانب الإلهيات ،أما الكلام الحديث فيحتاج أبحاثا متعلقة بعلوم عدة مُستحدثة ،فإنه رغم هذا التباين في المواقف والآراء فإنها تلتقي حول محاور عدة ترى أنها من مُستلزمات هذا العلم ومن أهم قضاياه ،منها : منشأ الدين ، لغة الدين ، العلم والدين ، الدين والدنيا ، التعددية الدينية (خسروبناه عبد الحسين ، 1435هـ، ص 112-114)، والتي تُعد أرضية للشق الثاني والأهم من المقال ونعني به مسألة الحوار الديني والمذهبي التي تنبني من قبول التعدد الديني والمذهبي كما تُشجع على فتح حلقات الحوار مع الآخر.

ومما هو متعارف عليه فقد ارتبط تطور علم الكلام في بداياته بإشكالات عويصة بعد دخول الكثير من الثقافات والديانات إلى العالم الإسلام نجم عنه دخول هذه الديانات في حالة صراع مع الإسلام ،حيث أثارت الأديان المخالفة السماوية منها والقديمة الكثير من المشكلات وهاجمت الإسلام هجوما لا هوادة فيه ، فكان لا بد من التصدي لهذا الهجوم دفاعا عن الإسلام وإثباتا لأصوله في مقابل هذه الأديان ،وقد استلزمت هذه الغاية الدفاعية الاستعانة بكل وسيلة ممكنة لتدعيم هذا الدين(محمد صالح محمد السيد ،2001 ، ص 82).

نجم عنه أدبا دينيا عُرف في مجال علم الكلام والأديان بالجدل والمناظرة لأهل الملل والنحل.

وقد كان لهذا العلم وجدلياته ومناظراته دورا في إقصاء العلاقات الإنسانية مع الآخر المختلف دينيا ، مما كان له آثاره في العقل الإسلامي حيث السائد لم يكن الاعتراف بل التعصب والانغلاق والاستبعاد المتبادل ،صحيح أن القرآن يحث على مبدأ التعارف الإنساني، لكن الواقع الإسلامي كان يخضع أكثر لمبدأ معاداة المختلف دينيا، كما لم يسلم المخالف مذهبيا لهذا النمط من الاستبعاد فكان الموقف من المذهب يتشكل وفقا لحديث الفرقة الناجية بين الفرق ،الأمر الذي ولّد الفتن المذهبية وحوّل كل فرقة إسلامية إلى منظومة ثقافية مغلقة أشبه بديانة خاصة لها رموزها وتقاليدها. أما فيما يتعلق بالمسيحية فقد تميز التاريخ القديم فيما يخص علاقة الكنيسة الكاثوليكية بالآخر بمنهجية الإقصاء والإلغاء ،سواء بين الديانات أو بين الطوائف والمذاهب داخل الديانة الواحدة. ولا شك إن منطق العقل الأُحادي والفرقة الناجية التي تحتكر مفاتيح الإيمان والإسلام قد انكسر بسبب التطورات الحديثة للفكر الإنساني حيث خرج المؤمنون وأتباع الطوائف والمذاهب من سجونهم العقائدية مما عزز مفاهيم الانفتاح على الأخر وتقبله (حرب علي ،2007 ، ص 137-138).

3، 2ـ علاقة الإسلام بالأخر الديني:

إن عالمية الإسلام ضمن المنظومة القرآنية وتفاعله مع الآخر تقوم على مبدأين:

*وحدة الأصل التي تعني التأكيد على أن الناس جميعا مهما كان اختلافهم يرجعون إلى أصل واحد ، نستشف هذه القاعدة في أكثر من آية من مثل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ (سورة النساء : الآية 1)

* الحضور الإلهي في التاريخ المتمثل في العناية الموصولة التي تتابع صيرورة العالم وتتدخل فيها عند الاقتضاء ؛ فقد صرح بذلك القرآن الكريم في أكثر من مناسبة خاصة في الرد على منكري النبوة من المشركين كما في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ (سورة الجن الآية: 7) . ذلك ما جعل كلام الله حيا بمعالجته لواقع الأمة الناشئة فيكون سبحانه في تعاليه عن كل شيء غير مهمل لأي شيء، وبخاصة الإنسان المرتبط بعهد الله المتبوأ به لمكانة السيادة.

ولأجل هذه المفاهيم استعمل القرآن الكريم بعض المصطلحات المفتاحية لترسيخ فكرة العالمية منها :

الناس: فهي أكثر العبارات ورودا في النص القرآني حيث استخدمت 241 مرة، وهي موزعة بنسب متقاربة بين آيات مكية وأخرى مدنية.

العالمين: تحتل هذه العبارة المرتبة الثانية بعد لفظة الناس فيما يتصل بمفهوم العالمية وأكثر ورودها في السور المكيّة، حيث بلغت 49 مرة ، وأكثر ما وردت فيه هو تركيب "رب العالمين" .

الأمة: يستعمل النص القرآني عبارة **أمة** بوفرة إذ تكررت 64 مرة.

القرية: وقد ذُكرت 56 مرة.(النيفر احميدة ،2021).

مما مر يتضح تأكيد الإسلام على وحدة الأصل الإنساني من حيث الخِلقة والتكوين ، وأن هذا المخلوق لم يترك وحيدا يواجه مصيره بدون متابعة نبوية تقود مسيرته الأرضية ، وعلى ضوء ذلك نلحظ في القرآن الكريم كثرة الاستخدامات لمفهوم الوحدة الإنسانية وعلاقة الإسلام بالآخر.

4ـ الفرع الثالث: الآخر المسلم والتقارب المذهبي

كان الوعي بالحاجة إلى تجديد علم الكلام ،قويا بعد دخول المسلمين في حوار مع الآخر المذهبي إذ وكما هو معلوم فقد نسج المخيال الإسلامي صورا نمطية سلبية لهذا الآخر ممن خالفهم المذهب وشاركهم الدين ،وعلى هذا الأساس كانت صدمة الحوار معه عميقة لأنها أبانت عن معوقات ثقافية وعقائدية صحُبت المشاريع الأولية للحوار، وتتجلى هذه الصعوبات في وجود جهل كل طرف إسلامي بالآخر وتعامله معه من خلال ذاكرة مذهبية تقوم على تصنيفات تتراوح بين مُبتدع وفاسق وعاص وخارج عن الملة وكافر كفر نعمة وغيرها .ويبدو أن مواجهة المسلمين للاستعمار جعلت المسلمين يتحمسون أكثر لنمط جديد من التفكير يتعارفون من خلاله من جديد بعد أن باعدت بينهم الذاكرات المذهبية العقدية الضيقة (بن مبارك علي ، 2015، ص 1 –2).

وقد اعتبر كثير من المفكرين والعلماء المسلمين في العصر الحديث ،أن الصراع والتناحر المذهبي والطائفي أحد أهم عوامل تشرذم المسلمين وتناحرهم ،مما أردى بهم إلى حالة التخلف والهوان ، وفي ظل هذه الظروف انبثقت فكرة التقريب بين المذاهب ، التي كان للمحيط الشيعي دورا كبيرا في ظهور هذه المبادرة، فكانت بدايات التقريب بين المذهب السني والشيعي بعد أن قام بعض مجتهدي وعلماء الشيعة من إيران والنجف بالاجتماع يوم الخميس 25 شوال سنة(1156هـ –1743م)مع بعض علماء أهل السنة والجماعة برئاسة علامة العراق عبد الله السويدي ،وتحت رعاية ملك إيران نادر شاه (الخطيب محب الدين ،ب ت، ص 9).

ومن الجانب السني كانت البدايات الأولى لهذه النزعة مع الجامعة الإسلامية التي نهض بها جمال الدين الأفغاني (1838–1837) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ثم أعقبتها تجربة "جماعة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية" في القاهرة التي تشكلت في النصف الثاني من أربعينات القرن العشرين، ودامت ما يقارب ربع قرن، من سنة 1947 مع إقرار النظام الأساسي للجماعة، إلى سنة 1972م مع توقف مجلة رسالة الإسلام لسان حال الجماعة آنذاك، مثلت هذه التجربة أهم حدث فكري في

تاريخ تطور العلاقات بين مذاهب المسلمين في العصر الحديث، وأسهمت في بلورة أفضل خطاب تواصلي يشجع على التقارب والانفتاح، وينبذ التباعد والقطيعة بين مذاهب المسلمين. وكان رائد هذه التجربة الشيخ محمد تقي القمي (1910–1990م) .ثم جاءت تجربة المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية الذي تأسس في طهران سنة 1990م كامتداد وإحياء لتجربة دار التقريب في القاهرة (الميلاد زكي ، عام 2015).

إلى جانب ذلك عُقدت ندوات عدة لتنشيط حركة التقريب بين المذاهب فكانت الندوة العلمية الأولى التي أقامتها المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والفنون (الإيسيسكو) باسم " التقريب بين المذاهب الإسلامية " ما بين 16–18 سبتمبر 1991م. وتلتها الندوة العالمية الثانية التي عقدتها نفس المنظمة بتاريخ ربيع الثاني 1417 هـ–1996م(محمد علي بن سلامة عبد الحليم ،2020) .

ثم كانت ندوة دولية حول التقريب بين المذاهب ،نظمتها مؤسسة الإمام الخوني بدمشق في أبريل 1999. كما عُقد مؤتمر علمي في حلب بسوريا تحت عنوان " المشروع المستقبلي لوحدة الأمة الإسلامية" بالتعاون بين سفارة إيران والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في الفترة 1–2 من شهر فيفري 2000م . ثم نظم المجلس الأعلى الإسلامي بالجزائر ملتقى دولي حول التفاهم بين المذاهب الإسلامية بالجزائر في مارس 2002م .وهناك أيضا مظاهر أخرى للتقريب أُديرت بجهود فردية من علماء السنة والشيعة سواء على هيئة حوار بين طرفين حاضرين ،أو في صورة مراسلات شخصية تدور بين علمين (الشرقاوي حمدي ، 2005 ، ص 242–245).

وسعى المجمع العالمي إلى التقريب بين أتباع المذاهب الاسلامية انطلاقا من مبادئ أساسية منها وحدة الأمة من حيث إيمانها بإله ،وكتاب ،ونبي ،وقبلة واحدة ؛وهو ما يدعو إلى التزام كل مسلم بمذهبه مع التعاون على المتفق عليه ، مع ضرورة الانتباه إلى أن العالم يتقارب بعضه من بعض رغم الاختلاف الديني والايديولوجي والقومي والعرقي واللغوي، فقد تقاربت المذاهب المسيحية الكاثوليكية والبروتستانتية والأرثوذوكسية ،ومن جانب أخر شهد العالم تقارب بين اليهودية والمسيحية رغم ما كان بينهما من عداء تاريخي(القرضاوي يوسف ، ع 13 ، ص 151–154).

وفيما يبدو فإن مسألة الإمامة تُعد أكثر المسائل حساسية وإثارة للنعرات المذهبية ،لذلك حاول بعض المُجددين في علم الكلام من رواد التقريب بين المذاهب الإسلامية ،التعامل معها بطريقة جديدة لا توقظ الذاكرات الدينية المذهبية من مضاجعها، بل تُقرب قدر المستطاع بين تصورات باعدت بينها قرون من الجهل والتباغض، ولأجل ذلك عمل أصحاب هذا المشروع الحضاري الوحدوي للصف المذهبي الإسلامي

على التأكيد أن "الإسلام واحد ومتعدد" في الآن ذاته ،لأن في نفي التعدد نفي للاختلاف ورفض لتعدد الممارسات والتصورات المتعلقة بأشكال الحكم (بن مبارك علي ،2010م).

إن تصاعد موجة الاقتتال المذهبي في بعض البلدان الإسلامية ،واستشراء لغة التكفير والعنف والإقصاء لدواع طائفية ، يفرض أكثر من أي وقت الدعوة لإقامة حوارات مُجدية بين الطوائف المتناحرة على أسس وحدة الدين والكتاب والقِبلة والمشترك الإنساني ،وأن لا مناص من الاعتراف بالاختلاف والتعايش ضمن هذا الإطار .

5ـ الفرع الرابع : الآخر غير المسلم ومسألة الحوار الديني

تعايش المسلمون مع ديانات مختلفة وأكبر دليل على ذلك بلاد الهند فإنه يتعايش في ربوعها المسلمون بمحاذاة البوذيين والهندوس والسيخ والمسيحيين ، كما يشهد التاريخ بوجود شبه بين الأديان حيث يتشابه أتباع الأديان المتعددة في طقوسهم ومناسكهم الدينية في العديد من المعتقدات ،وعلى الرغم من ذلك فإن اختلافات مهمة تفصل بينهم ،فالتوحيد عند المسلمين ، والتثليث عند المسيحية ،وتعدد الآلهة عند الهندوس، والثنوية عند الزرادشتية ، تشهد على مجموعة من الاختلافات القائمة بين هذه الأديان .ومن المهم التنبيه إلى أن التعددية الدينية فكرة أولدها التاريخ المسيحي ،وهذا بعد ما عُرفت بنهجها الانحصاري الذي يُفتي بصدق دينها وبُطلان سائر الأديان ،كما تحكم باقتصارها على السعادة والنجاة وحرمان الآخر من ملكوت الله . وقد أدى هذا الفكر المتطرف إلى اشتباكات وقعت بين المسيحيين الأوروبيين في القرون الوسطى من جهة ،وأتباع الديانات غير التوحيدية وكذا اليهود والمسيحيين من جهة أخرى .وفي عصر التنوير الأوروبي ، ساقتهم نزعتهم الاستعمارية إلى التمدد نحو بلدان أخرى ،فانتشرت قوافل المبشرين المسيحيين في شتى أرجاء العالم ،هادفين في الأساس إلى تغيير الأديان ،ولكنهم اضطروا في القرن العشرين إلى النزوع نحو التعددية الدينية عبر أدوات عدة منها إيجاد حوار مفتوح بين الأديان ،فالمجتمع البشري يزخر بعدد كبير من الأديان والمذاهب المتنوعة التي يجب أن تعيش مع بعضها بأمن وسلام(خسروبناه عبد الحسين ، 2011، ص 489- 500).

وقد أصبحت فكرة الحوار الديني أكثر تداولا في النصف الثاني من القرن الماضي فدخلت كلمة الحوار قاموس العلاقات بين الأديان والإيديولوجيات ، وهي تعني أن كل طرف صاحب دين وعقيدة يرى الطرف الأخير جديرا بالاحترام والمناقشة ، ومع مواصلة عملية الحوار يتولد لدى كل طرف أن الآخر ليس محروما حرمانا كاملا من الحق ، وأن هذا ليس احتكارا كاملا من الحق ،ومع ظهور عوامل جديدة تتحدى الطرفين وتهددهما معا ،ومع تبين أهداف مشتركة يتطور الحوار ويزداد عمقا من التعايش إلى التعاون إلى ما يتجاوز ذلك .وقد كان قبل ذلك السائد في العلاقات استبعاد مطلق للآخر مع ما يصحب

ذلك من عُزلة وعداء متبادل ،كما قامت الحروب الدينية قديما وحديثا على أُسس رفعت الدين شعارا وستارا لها ، ثم جهُدت البشرية للتقليل من مجال الاستبعاد والتضاد في مجالات شتى كالفلسفة والقانون الدولي إلى أن صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي كفل لكل إنسان الحق في حرية الفكر والضمير والدين وكذا حرية الرأي والتعبير عنه(سليمان وليم ،1976، ص 11- 14).

وكان من الطبيعي في ظل هذا التيار نحو العالمية أن تتقارب الشعوب وأن تتبادل خبراتها على أساس الاحترام المتبادل ، ومن هنا كان " الحوار " في حقيقة الأمر معبرا عن رغبة بشرية وهدفا تسعى إليه الجماعة الإنسانية حيث تأكد لدى الجميع الاقتناع بأن إمكانية استبعاد كل طرف للآخر بالجبر أو التهديد غير واردة . وثمة حقيقة واحدة هي أن مبادرات الحوار بين الأديان حتى الآن تنطلق دائما من الغرب ،لذلك تضمن تقرير المؤتمر الثاني لمجلس الكنائس الغربي الذي عُقد في الولايات المتحدة في خمسينات القرن الماضي ضرورة أن تعيد كنائس الغرب –خاصة البروتستانتية– النظر في موقفها من الأديان الأخرى ، ثم تلاه مؤتمر استشاري أخر عُقد بسيلان في مارس 1967 من طرف المسيحيين لدراسة الحوار بين المسيحيين وأصحاب العقائد الأخرى(سليمان وليم ،1976، ص 14- 19).

وفي 1974 عُقد مؤتمرا في قرطبة من قبل الجمعية الإسبانية للصداقة الاسلامية الإسبانية ،واختتمت أعماله بسلسلة من التوصيات ذات التوجه السياسي الواضح حول القضية الفلسطينية. وتلى هذه المبادرة الحوار الاسلامي المسيحي لعام 1976 في ليبيا ،وقد شمل البيان الختامي 24 مادة حددت بدقة إمكانات وأسس الحوار. وفي 1984 أُقيمت مذكرة التفاهم الإسلامية المسيحية ،جرى فيه التأكيد على الدفاع عن حقوق الإنسان ، والاعتراف بالرب وأن يُصبح التآخي الانساني ضروري ومهم (بوسه هيربرت ،2005، ص 211- 215) .

كما نجد المجلس العالمي للكنائس وهو يضم جُل الكنائس غير الكاثوليكية ، وهذا المجلس يكتفي بتنظيم الحوار فيما بينها وبين الأديان الأخرى ، بما في ذلك الإسلام ،كما يسعى إلى الحوار مع كل المذهبيات ،ويُصدر عديد الدوريات ،ويعقد الندوات في كل القارات ، ويُصدر مجلة مختصة في الحوار تعرف ب"مسار الحوار" ،ونظم عددا من ملتقيات الحوار بين الأديان في كل القارات ، وإلى جانب المجلس العالمي للكنائس والفاتيكان ،تنشط في الغرب جامعات وجمعيات عديدة في ميدان الحوار المسيحي الاسلامي، بالإضافة إلى بعض الجمعيات والمنظمات الإسلامية والغربية(الطالبي محمد ، 1992، ص 146- 147 ، 161-163).

ومن الأهداف الرئيسية للحوار بين الأديان ،تشجيع الحوار بين مختلف الأديان والعقائد ابتغاء التوسع في تبادل المعرفة بالتقاليد الروحية لكل منها وما تستند إليه هذه التقاليد من قيم ،مما يعزز التفاهم بين

الدوائر الثقافية الأعم ،وعلى مدار السنوات ،دأبت اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة) بانتظام على الجمع بين شخصيات دينية بارزة تنتمي للديانات التوحيدية ومختلف التقاليد الروحية وشتى الدوائر الفكرية في إطار اجتماعات حول مواضيع تستند إلى بحوث مشتركة بين عدة تخصصات علمية . ويتزايد اليوم الإدراك لضرورة توسيع دائرة الحوار بين الأديان حتى يساهم بدور سباق في تحقيق الترابط الاجتماعي والاستقرار في العالم، ومن أهم الملتقيات التي أشرفت عليها الأمم المتحدة من خلال اليونسكو مؤتمرا دوليا عن الحوار بين الحضارات والأديان والثقافات في غرب أفريقيا في أبوجا في ديسمبر 2003، والمؤتمر الإقليمي للحوار بين الأديان وبين الأعراق الذي عُقد في ديسمبر 2004 في تيرانا(تقرير الأمين العام ، 2005 ، ص 16-17) .

كما أعلنت اليونسكو مبادئ بشأن التسامح الديني في دورتها الثامنة والعشرين، بباريس، بتاريخ 16 نوفمبر 1995 ، فكان من بين بنودها أن لا تعارض في ممارسة التسامح مع احترام حقوق الإنسان، ولذلك فهي لا تعني تقبل الظلم الاجتماعي أو تخلي المرء عن معتقداته أو التهاون بشأنها، بل تعني أن المرء حر في التمسك بمعتقداته وأنه يقبل أن يتمسك الآخرون بمعتقداتهم(مكتبة حقوق الإنسان إعلان مبادئ بشأن التسامح، 1995).

وهو ما يؤدي بالضرورة إلى نشر ثقافة التسامح عبر التواصل بين "الأنا" و"الآخر" ،التي تستند إلى السماح للآخر بالحق في التعبير عن الآراء التي قد لا يستسيغها الأنا ،مما يعني أن التسامح ليس إعراضا عن الثوابت ، ويمكن أن نصوغ لمفهوم التسامح حقلا دلاليا واسعا ،فهو بمثابة الدائرة التي يموج داخلها عددا من العناصر المكونة والمرتكزات الثابتة .والحقيقة أن مفهوم التسامح في الفكر المسيحي استطاع الخروج من دائرة الدين إلى مجال الثقافة ومن دائرة الاعتقاد إلى محيط السلوك المدني ،وهذا بفعل الحداثة والتنوير ،فأصبح مصطلح التسامح معجما كونيا ،يجاري روح العصر ،وسعى إلى تخطي رواسب التعصب والتشدد والتباغض ، فأضحى قيمة ذات مجالين :مجال استنبت في المجتمعات المتحضرة مسالك وسبل، فدخل في إطار السلوك ،ووجد حظا كبيرا في الحياة اليومية، ومجال في المجتمعات المتخلفة راسب ،وهو أقرب إلى المثل المنشودة ،فهو بحاجة إلى ثورة ثقافية جامعة ،تكسر قيود التقليد ،وتفتح على مرتكزات الثقافة الكونية.وحري بنا في هذا المجال أن نشير إلى ملاحظة جوهرية ؛وهي أن التسامح لم يكن من المعجم الجاري في سجل الكلام الإسلامي القديم ، والعبارة لها جذور من الثقافة المسيحية ،وذلك بفِعل حالة التعصب السائدة في المجتمع المسيحي ،ثم انتقلت إلى مدار الثقافة مع الحداثة والتنوير ، فأصبح مصطلح التسامح مُعجما كونيا ،يُجاري روح العصر ،وسعى إلى تخطي رواسب التعصب والتشدد والتباغض(عمران كمال ، 2007، ص 15 -17).

وكما يظهر فإن الإسلام جدير بهذا الدور ونعني بذلك قدرته على استيعاب وقبول المختلف دينيا كونه يحث ويتضمن الكثير من المبادئ التي تجسد هذا المفهوم مما نجد أصوله وقاعدته في القرآن الكريم وسنة نبيه الكريم ، كما لا يمكن أن ننكر الجانب الأخلاقي والإنساني التي تتضمنها الديانات الكتابية والقديمة ، ضف إلى ذلك فإن طبيعة التطور الفكري والتاريخي والحضاري تدفع إلى مسار الحوار كون الصراع المذهبي والاقتتال الديني لم يُحرز للإنسان الرخاء بل قاد للهلاك ودمار البُلدان باسم الإله ، فبات من الجلي أن الدعوة إلى التسامح وتقبل الاختلاف الديني والمذهبي دون الانصهار فيه أو استعدائه طبيعة تخدم قضايا الإنسان وانشغالاته المعاصرة ،كما أن الضرورات التاريخية والحضارية والمصلحية تستلزم استدعاء النزعة الإنسانية في الدين وروحانيتها وتغليبها على باقي الفروقات العقدية والتشريعية.

6ـ خاتمة :

في ختام هذا المقال نصل إلى النتائج التالية :

– بالرغم من التباين في المواقف من مسألة تفاعل الكلام القديم مع موضوع الإنسان من عدمه ؛فيظهر أن هذا الموضوع يحتل دائرة الانشغال والتأليف في علم الكلام الجديد ،كما أن قضايا مُستحدثة فيه باتت من أولى أولياته كقضية حقوق الإنسان ، التعددية الدينية ، المرأة ،الأقليات الدينية ،الحرية الدينية وما إلى ذلك .

– إن الصراع المذهبي للفرق الإسلامية غذّته مقولة الفرقة الناجية الذي أفضى إلى ادعاء حصرية كل فرقة بامتلاكها صِدقية مذهبها وإقصاء المذهب الآخر، كما كان لاستعداء الديانات الكتابية والقديمة للإسلام ،وما ابثق عنه من ظهور مفهوم الجدل والمناظرة في الكلام القديم دور في استمرار حالة التشنج والتطاحن بين الأديان .

– أن الكلام القديم خدم أهدافه وغاياته بما تقتضيه ضرورات زمانه وعصره ،بيد أن استشراء سِمة الجدل والمناظرة في منهجه وانشغالاته أورثته عِبئا كلاميا اقصائيا للآخر المذهبي والديني .

– إن من مهام علم الكلام الجديد في مستواه الإنساني التدليل على كونية وإنسانية الخطاب الكلامي الإسلامي وروحانيته.

– أن القرآن الكريم أسس لمبدأ التعارف مع الآخر إنسانيا وحضاريا عبر إقراره بالاختلاف البدئي بين البشر، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات: 13)،وهذا التعارف يقوم دون شك على

إرساء قاعدة الحوار والاحترام المتبادل رغم ما يُباعد بين طرفي الحوار من حواجز عقدية ومذهبية ودينية وثقافية وغيرها.

– أن ظروف تاريخية وحضارية استدعت سُبل الحوار المذهبي والديني، فكان للحملات الغربية الاستعمارية دورها في تنبيه بعض زعماء الإصلاح إلى حتمية التقارب والحوار المذهبي بين فُرقاء الدين الواحد ،إلى جانب ذلك كان للتطور الحضاري والفلسفي وما أنتجه من فلسفات داعمة لحقوق الإنسان، وما أفرزته القرارات الدولية الداعية للحرية الإنسانية دينيا وفكريا ونشر مبادئ التسامح دورا في دعم الحوار.

– ضرورة ترسيخ ثقافة التعايش والتسامح مع الأخر وقبول مبدأ الحوار بين المذاهب والأديان ،دون التماهي في الآخر أو التخلي عن الخصوصية الدينية والمذهبية لكل فريق.

– إبعاد الدين عن دائرة الصراع والمهاترات الجدلية التي تُغذي وتُسهم في إذكاء ثقافة الكراهية والازدراء وتجعل من الدين مِعول هدم وتطاحن وهو ما يتنافى مع دوره الإنساني المتراحم.

وتأسيسا على ما سلف أدعو الباحثين المهتمين بعلم الكلام الجديد إلى التركيز على مواضيع كلامية عصرية ، تعالج موضوع الإنسان وتخدم غاياته وسعادته وتحقق منفعته الدنيوية وتُبعده عن حلبة الصراع والاقتتال ،كمواضيع التعددية الدينية والحرية الدينية وحقوق المرأة وغيرها .

7ـ قائمة المراجع:

1/ بن مبارك ،علي ، دور تجديد علم الكلام في التقريب بين المذاهب الإسلامية من خلال مجلتي "رسالة الإسلام" و"رسالة التقريب" ،تجديد الكلام في الإمامة نموذجا، مجلة الكلمة ،ع 66،السنة 17،م2010م–1431هـ.

2/ بن مبارك، علي،(2015) ،الحاجة إلى تجديد علم الكلام ،مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

3/ بوسه، هيربرت ،(2005)، أسس الحوار في القرآن الكريم–دراسة في علاقة الاسلام باليهودية، ترجمة :أحمد محمود هويدي ، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة .

4/ تقرير الأمين العام ، (5 أوت 2005)، تشجيع الحوار بين الأديان ، الجمعية العامة للأمم المتحدة ،الدورة الستون ، البند 45 من جدول الأعمال (ثقافة السلام)،تاريخ الزيارة 20 أوت 2021 .

5/ الحاج أوحمنة ، دواق ،(2014)،الانسان المستعاد في علم الكلام الجديد : قراءة في لاهوت النزعة الإنسانية للمفكر العراقي عبد الجبار الرفاعي ، الرباط : مؤسسة مؤمنون بلا حدود .

6/ حرب ،علي ،(2007)، أنماط الإيمان ومسألة الاعتراف بالآخر من يؤمن ومن يكفر ؟ ، مجلة قضايا إسلامية معاصرة ،السنة الحادية عشر، ع 33–34 ، بغداد ، مركز دراسات فلسفة الدين.

7/الخزاعي، حكيم ، (2020) ،الإنسانيات في علم الكلام الاسلامي ، ط1، العراق : مركز الصادق عليه السلام للدراسات والبحوث الاسلامية التخصصية .

8/خسروبناه ،عبد الحسين ، ماهية علم الكلام الإسلامي المعاصر، ترجمة : محمد حسين الواسطي ،(شعبان 1435هـ) ،مجلة "العقيدة "،ع1 .

9/ خسروبناه ، عبد الحسين ،(2016) ، الكلام الإسلامي المعاصر ، ترجمة : محمد حسين الواسطي ، ط1، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع .

10/ الخطيب ،محب الدين ،مؤتمر النجف – مقتطف من مذكرات عبد الله بن الحسين السويدي– ، بغداد : مطبعة البصرة.

11/ إعداد وتحرير: الرفاعي ، عبد الجبار ،(2016) ،(موسوعة فلسفة الدين 3) ،علم الكلام الجديد –مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين، ط1،بغداد : مركز دراسات فلسفة الدين.

12/ إعداد : الرفاعي ،عبد الجبار ، الاجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد ،محاورة : مصطفى ملكيان الكلام الجديد في إيران ،(دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ،2002) .

13/ إشراف روزنتال ويودين ،الموسوعة الفلسفية ،ترجمة : سمير كرم ،بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر ،1997.

14/ عبد الله الشرقاوي ، حمدي ،(2005) ،الفكر الكلامي السني والشيعي الإمامي – صورة الحاضر وإشكالية التقريب ، قطر ،مجلة كلية الدراسات الإسلامية ، ع23.

15/ عمران ، كمال،(2007)،التسامح رحيق الحداثة ، مجلة قضايا إسلامية معاصرة ،السنة الحادية عشر، ع 33–34 ، بغداد : مركز دراسات فلسفة الدين .

16/ سليمان ، وليم ،(1976)، الحوار بين الأديان ، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

17/ صالح محمد السيد ،محمد ، (2001)،مدخل إلى علم الكلام ،القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

18/ الطالبي، محمد، (1992)عيال الله –أفكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه وبالآخرين، تونس : دار سراس للنشر.

19/ فتحي ، حامد، علم الكلام الجديد إصلاح الدين يتطلب تغيير صورة الله كسيد محيف متمرس في التعذيب ، https://raseef22.net/article 2021 /6/18 على الساعة : 14:20 .

20/ القرضاوي ، يوسف، مبادئ أساسية فكرية وعملية في التقريب بين المذاهب ،رسالة التقريب ، ع 13.

21/ قراملكي ، أحمد ، (2002)، الهندسة المعرفية للكلام الجديد ، ترجمة : حيدر نجف وحسن العمري ، مراجعة : عبد الجبار الرفاعي ، ط1، دار الهادي.

22/ محمد علي بن سلامة ،عبد الحليم ،(الأحد 27 /12 /2020)، قضايا التقريب بين المذاهب الإسلامية وأهميته : ماضيا ،حاضرا ومستقبلا ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب https: www.taghrib.com .

23/ مجموعة من الباحثين ، (2008)،العقلانية الإسلامية والكلام الجديد،ط1 ،بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،

24/ المستيري، محمد ،(2019)،تجديد علم الكلام في تأسيس عقلانية دينية معاصرة ، ط1، تونس: المغاربية للطباعة وإشهار الكتاب .

25/ مكتبة حقوق الإنسان إعلان مبادئ بشأن التسامح ،16 نوفمبر 1995 ،الساعة : 11.36، تاريخ الاطلاع : 23/11/2020 ، http://hrlibrary.umn.edu/arab/tolerance.html

26/ الميلاد ،زكي ،(2015) ،المسلمون الشيعة ومسألة التقريب بين المذاهب، مجلة الكلمة ،ع87 ،س22 .

27/ النجار ،عبد المجيد ،مباحث في منهجية الفكر الإسلامي ،(دار الغرب الاسلامي ،1992).

28/ النعماني الهندي ،شبلي (2012)،علم الكلام الجديد ،ترجمة وتقديم : جلال السعيد الحفناوي ،ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة .

29/ النيفر ، احميدة ، عالمية الخصوصية في الخطاب القرآني ، المملكة المغربية ، الرابطة المحمدية للعلماء 4/15.www.arrabita.ma/ 2021على الساعة 17.00.

30/ يوسيفيان ،حسن ،،(2016)، دراسات في علم الكلام الجديد ،ترجمة : محمد حسن زراقط ،ط1، بيروت: مكتبة مؤمن قريش.